عبد الله تاية

بطاقة

"الأمين العام المساعد للاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين" . يعمل مديرا عاما في وزارة الإعلام. قاص وروائي فلسطيني.

لاجئ من قرية بيت دراس يسكن مخيم جباليا في غزة.

نائب رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين ١٩٩٥- ٢٠٠٣ .

القائم بأعمال رئيس اتحاد الكتاب منذ ٢٠٠٣ .

نائب رئيس منظمة كتاب أفريقيا وآسيا في فلسطين.

ينشر مقالاته السياسية وأعماله الإبداعية في الصحافة الفلسطينية والعربية.

صدر له قصص:

من يدق الباب - الدوائر - البحث إيقاع مستمر - انفلات الموج - جنود لا يحبون الفراشات.

روايات:

الذين يبحثون عن الشمس - العربة والليل - التين الشوكي ينضج قريباً - وجوه في الماء الساخن - قمر في بيت دراس

*** بداية ما المراحل التي مررت بها في رحلتك الأدبية الطويلة، وكيف تقارن بين كتاباتك في الماضي وبين أعمالك الأخيرة..؟**

بدأت بكتابة الشعر ولم أنشر شيئا منه، ثم جذبتني كتابة القصة

القصيرة، ورأيت أنها الشكل الأدبي الذي ناسب ما كان يجيش في داخلي من قلق وأفكار وحكايات، وهي التي تمكنني من التعبير عن قضايا كثيرة بلغة مختارة وفنية جميلة، وتقربني من ملامسة الحقيقة والظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المختلفة، خلال مراحل تاريخية مرت بها القضايا العربية والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص، وعندما كانت تزدحم الأفكار والشخوص في مخيلتي كنت أرى أن نسيج القصة القصيرة ومواصفاتها لا تستطيع أن تستوعب هذا الكم من القلق والحيرة والأفكار وحركة الشخوص الداخلية والخارجية فكنت أعمد إلى كتابة الرواية، بل إنَّ من الأفكار والقضايا ما كان يفضل وضعه في مقالة أدبية اجتماعية أو سياسية فكان لي حظ من كتابة المقال، على أية حال ما يحكم شكل الكتابة هو الموضوع، فأنا أتخير للموضوع شكلا يناسبه ولا يهم ماذا يكون هذا الشكل، المهم أن تصل الفكرة مع العناية باللغة الأدبية وفنيات كل شكل من أشكال الأجناس الأدبية. وظني أنَّ أيَّ كاتب مبدع كلما تعمق في تجاربه وأخلص لأدبه وفنه، سيبدع أعمالا أكثرَ فنيةً وتطورا وتنوعا خاصة كلما تقدمت به التجربة.

*** يرى بعضهم أنك قاصٌّ مبدعٌ أكثر مما أنت روائيا. حتى أن أسلوب الكتابة القصصية يطغى على أعمالك الروائية، بحيث تبدو وكأنها قصص قصيرة مترابطة بطريقة ما.. ما قولك.. وهل تعتبر هذا مديحا أو نقدا..؟**

طبعا لكل ناقد وجهة نظر، والنقد قراءة أخرى في النص، فالكتابة القصصية كانت بداية اهتمامي في الكتابة الأدبية، وكنت أبذل في كل نص جهدا كبيرا في التجويد والتحسين، وحقيقة الكتابة عندي ليست ترفا إنما هي معاناة وقلق واستبطان واختيار، لذا لم يكن يهمني الكم، كنت أحبُّ دائما أن أقدم رؤية جديدة وأعالج قضايا ذات قيمة وطنية

وإنسانية، ولم يكن يشجعني على الكتابة إلا إلحاح الموضوع الجديد أو الفكرة غير المطروقة، وأنا أميل إلى كتابة القصة القصيرة، فهي تحمل مواصفات ولها متطلبات فنية تبعد عن السرد والوصف والتطويل إنها تجعل لكل كلمة أو جملة أو تعبير حاجة ملحة، وليس مجرد تسويد صفحات، فهي فكرة ولغة وفن وجماليات تحتاج إلى دربة وعمق ثقافي وقوة ملاحظة، وغنى لغوي، لتخير الكلمات والإشارات، وهذا ما يحدث معي أيضا عند كتابة الرواية التي لها مواصفات أخرى، وليس صحيحا ما يشاع من أن القصة القصيرة يمكن أن نصيرها رواية بزيادة في السرد أو إدخال شخصيات أخرى، فالرواية حياة أخرى ونبض مختلف، والمهم في النهاية ليست القصة أو الرواية، المهم هل وصلت الأفكار، هل كانت اللغة جميلة، هل هناك التزام بالمواصفات الفنية لكل جنس أدبي، هل ما أثير من قضايا يستحق أن يثار، وكيف تم نسجها، وأسئلة أخرى كثيرة وعميقة محيرة وملتبسة، لذا كتبت الرواية بأشكال متعددة في الوقت الذي كنا تحت الحصار الثقافي في زمن الاحتلال، حيث لم نطلع حين كتبنا على تجارب الكتاب العرب لعدم وصول كتبهم وإصداراتهم إلينا، فلما فتحت الأبواب واطّلعنا على الإصدارات العربية في القصة القصيرة والرواية، رأينا أننا كتبنا شيئا مهما، وقال النقاد أن القصة القصيرة في قطاع غزة تتميز على غيرها في البلاد المجاورة، لذا أرى أن يمنح القارئ والمثقف والناقد والباحث والمبدع حرية الرأي حول ما يقرأ، ولا يضير الكاتب التوصيف بقدر ما يهمه هل وصل إلى ما يريد أم لا، وهل كان وصوله فجاً أم إبداعيا.

*** من يقرأ أعمالك (القصصية أو الروائية) يلحظ أنك أسير المخيمات والجو الفلسطيني، مع أن الحياة بمفهومها الإنساني أكبر من ذلك. أليس للموضوعات الأخرى من نصيب من تفكيرك**

اليومي، لقطات الحياة اليومية، نماذج إنسانية أخرى، تجاربك الشخصية وغيرها..؟

كلما التصق الكاتب بواقعه وعبر عنه بصدق قدم نماذِجَ إنسانية، فالكاتب ليس منعزلا عن بيئته وظروفها المختلفة، فهموم الناس في المخيمات من فقر وازدحام وأحلام وقضايا وطنية وتطلعات إنسانية هي أشياء يتشارك فيها كل الناس، في كل مكان، أنا أعيش في المخيم طوال الوقت وأرى الناس، وقسوة الاحتلال وشظف العيش منذ النكبة الأولى حتى الآن، طموحات الناس وأحلامهم في كل مكان تكاد تكون متقاربة، بحثا عن الحرية والكرامة والحياة، ولكن يمكن القول أننا ككتاب في فلسطين حملنا هما أكبر، وعلينا مسئولية أعلى، ونحن نرى شعبنا يتطلع إلى الحرية، والباحثون عن الحرية لهم نماذج إنسانية يعجز الواصف عن وصفها لكثرتها، نماذج إنسانية خالصة تتطلع للحياة والحرية والعدالة، ومن على الأرض ليست له هذه الأحلام، وهذه الطموحات فالإنسان هو الإنسان، ويتشارك الفلسطيني مع غيره من الناس في أماكن كثيرة في تطلعاته وأحلامه ومآسيه وقضاياه اليومية، والإستراتيجية، لكن يمكن القول أنني والكتاب من جيلي حاولنا أن نخرج من لغة الشعارات إلى أحلام البشر، ومن التوصيفات السياسية إلى النسيج الإنساني في شخوص قصصنا ورواياتنا، أنا ابتعدت عن الصراخ السياسي، ولم أحفل به لأن نماذجي الإنساني ة أوقع أثرا من الوصف الخارجي للشخوص، أو لمظاهر المحتل الظاهرة، فما يدور في الخفاء وتحت السطح أعمق وألعن.

* **ولكن في ذات السياق يلاحظ ازدياد ابتعاد الكثير من الأدباء العرب والفلسطينيين بشكل خاص عن الموضوع الفلسطيني في الآونة الأخيرة، وتقوقعهم أكثر حول ذاتهم.. كيف تفسر هذا التوجه..؟**

الكتاب مخذولون مما يحدث حولهم، منذ بدأوا الكتابة وأحلامهم بالتغيير متواصلة، وتطلعاتهم نحو الحرية والعدالة والكرامة والقانون واحترام الإنسان لا تتحقق، وكلما ظنوا قرب تحقق ما ينادون به يكتشفون أنه السراب، فالكتاب معذورون إذا هربوا إلى دواخلهم، وإلى أسئلة الحيرة والقلق التي تلف نفوسهم، إنها وقفة المراجعة والسخط على ما حولهم، مع ذلك هم أسرع ما يعودون إلى واقعهم ليعيدوا شحذ الهمم، والتبشير بأمة لا تقبل الضيم، ثم أننا متفقون على حرية الكاتب والمبدع فلا ينبغي أن نحدد له أسوار الكتابة، أو أن نضع له قائمة العناوين والمضامين، فالكاتب أول من يعرف واجبه، ويعي حق أمته عليه بالانتماء لقضاياها والدفاع عن طموحها وأحلامها وثقافتها وحريتها، وإن جاءه وقت يهرب فيه من واقعه، فهو إنما يهرب إلى واقع آخر أشد من واقع حاضره القلق ونفسه الممزقة وباطنه، الذي يمور بأسئلة صاخبة تنأى به عن الهدوء أو الاستسلام.

*** يسجل لك تمكنك من اللغة وتطويعها، وسلاسة السرد في أعمالك، رغم أنك تستخدم العامية أحيانا في الحوارات، فضلا عن ميلك لاستخدام صيغة الفعل المضارع..؟**

أحاول دائما أن أتخير ألفاظي التي أعبر بها عن شخوص أعمالي وأحوالهم، ظاهرهم، وباطنهم، لأني أعتبر أن اللغة في الكتابة الأدبية شيء أساسي وجمالي، ولا أدب بدون لغة جميلة، ويعجبني انتباهك إلى استخدام الفعل المضارع، خاصة في روايتي وجوه في الماء الساخن، وهو الأمر الذي لم ينتبه له إلا قلة من النقاد الذين كتبوا عن الرواية، من هنا نقول أن النقد هو قراءة أخرى للنص، قراءة تضيف من وعي وثقافة وعمق ومعرفة الناقد، بما يحقق رؤى وفضاءات وأفكار أخرى تضاف إلى العمل، ربما يكون الكاتب قصدها في عمله، وربما جاءت دون قصد،

لذا يتحدثون دوما عن دور الناقد المبدع في إضاءة فضاءات جديدة في النص، وإلقاء الضوء على ما قد يكون خفي على القارئ أو غفل عنه، وأحيانا قد يرى القارئ أن الكلمة أو التعبير عامي، ولو بحث قليلا ربما يكتشف أن التعبير لغة وسطى، مع ذلك قد يضطر الكاتب أحيانا أن يدون ضمن الحوار بعض الكلمات أو التعبيرات الدارجة، لتقدير الكاتب بأنه ما من كلمة تؤدي ما يريد التعبير عنه، كتلك الكلمة أو ذاك التعبير.

*** تعتمد في رواياتك كثيرا على الحوارات الداخلية للشخصيات، وسبر نوازع النفس البشرية بشفافية وعمق، كما تكثر من طرح الأسئلة المقلقة خلال النص لماذا؟ وهل تتقصد خلق حالة من القلق الموازي لشخصيات العمل لدى القارئ..؟**

بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧م، خرج كثير من الكتاب من الضفة والقطاع، وساد حصار وصمت ثقافي حتى منتصف السبعينيات، فلما بدأت مع جيلي من الكتاب في السبعينيات كانت مظاهر الاحتلال ومقاومته هي الظاهرة على سطح الحياة اليومية، فكتبنا عن المظاهر الخارجية للاحتلال، تلك المظاهر اليومية التي يراها الجميع من عسكر وسجون وقمع وآليات وبنادق وموت. وفي أوائل الثمانينيات رأيت أن هذه المظاهر الخارجية ليست حقيقة الواقع، فالواقع الحقيقي أن هناك فظاهرَ أخرى أشد وأقسى تدور تحت سطح الحياة الظاهرة، تؤثر في بنية المجتمع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتؤثر في مكنونات الشخوص ودواخلهم فنرى عمق الشخصيات تصطرع بأسئلة قلقة وحوارات داخلية أكثر فورانا وتطلعا، لذا لم يعد في جمل الوصف والسرد لمظهر الشخصيات الخارجية ما يغري بالكتابة عنه، فكتابتي اتجهت إلى سبر أغوار الشخصيات وكشفها من خلال مونولوجها،

الداخلي الذي يضع علامات هامة على حياة باطنة، ورؤى وفضاءات إنسانية عفوية ومقصودة، فترى التناقض بين هندسة المظهر واضطراب الجوهر، لذا كان اهتمامي بهذه الجوانب الإنساني ة التي تتشارك فيها التجارب الإنساني ة، فنرى العمق والاضطراب والقلق تماما، كما نرى حسن الهندام، وظني أن مثل هذا التناول حين يكون بلغة جذابة، وجمل مدهشة يغري القارئ، ويعري دواخله في نفس الوقت، ليجد أنه أيضا يمتلك عمقا مسكوتا عنه، لا يجرؤ على التصريح به بصوت مسموع، إنه توحد بين النص والمتلقي، الذي نفترض أن لديه لياقة ثقافية، أبعد من مجرد الجري وراء حركة الأحداث وتسلسلها دون الوقوف على المعالجات التي تخوض فيها. ثم من أكثر حِكْمَةً أن تكشف الشخصيات دواخلها في حواراتها الذاتية فتفضح باطنها مختارة تحت الضغوط التي تواجهها، أم قيام الكاتب بسرد و وصف لا يرقي للمستوى المطلوب، أو يبتعد عن الصدق الفني، إن مهمة الكاتب المبدع عسيرة، مع ذلك عليه القيام بها بجدية تناسب رؤيته، وما يطرحه من قضايا دون إغفال للنواحي الفنية، واللغة وجماليات النص، ليحقق وحدة الحال بينه وبين المتلقي.

*** لفتتني تلك السخرية اللاذعة في مجموعة (البحث إيقاع مستمر)، ولاسيما وأنت تتحدث عن جدلية العلاقة بين الإنسان وحذائه، وبشكل عام أراك تميل كثيرا إلى السخرية المبطنة تارة والمباشرة تارة أخرى..؟**

السخرية ولغتها وتلميحاتها المختلفة هي أداة من أدوات الكاتب للتعبير، والأسلوب الساخر أقرب إلى نفس القارئ سواء في القص القصير أم في الرواية، وكثيرا ما تقوم جملة ساخرة بوظيفة صفحات من السرد التقليدي، وهي تخرج القارئ عن المألوف، وربما تروّح عنه أثناء عناء القراءة والمتابعة، أنا أميل لاستخدام السخرية في مواقف تستلزم

ذلك، فالسخرية تكون نقدا مريرا ربما أكثر من جمل النقد العادية مع ذلك يظل التخوف من أن القارئ قد لا يتلقاها، وما ترمز إليه كما أراد الكاتب، على أية حال هذا منوط بثقافة الكاتب وأسلوبه، وثقافة المتلقي، كما يضيف هذا اللون إلى النقد الأدبي بابا من أبواب التناول النقدي، ومدى براعة الكاتب والناقد في كشف و استبطان هذا الأسلوب، بما يضيف جوا آخر ذا مذاق خاص على أجواء النص الأدبي.

*** في" التين الشوكي ينضج قريبا " كان السرد القصصي عندك يطابق الواقع كما هو الحال في العديد من أعمالك. والسؤال متى يمكن للكاتب أن يكتفي بأن يكون شاهد عيان، يقوم بمهمة التصدي لمحاولات الإخفاء والتدليس، أم لابد من جرعة من الخيال في أعماله..؟**

رواية " التين الشوكي ينضج قريبا " هي رواية حدث اعتمدت فيها على الحوار، لذا لا يرى القارئ فيها سردا. في نهاية السبعينيات أشيع في غزة أن قبور الشهداء في مقبرة الشجاعية تتحرك، فأتى الناس من كل فلسطين ليروا هذه الظاهرة، وهم بين مصدق ومكذب، وبعد أيام هدأت الإشاعة وانفض الناس، فحين كتبت روايتي هذه تمثلت هذه الحادثة، وتساءلت: ترى ماذا يحدث لو كانت قبور الشهداء تتحرك فعلاً؟ وماذا لو خرجوا منها؟ ماذا سيقول الناس؟ وماذا سيجري في الحارات والأزقة والبيوت؟ وماذا سيقولون عن غيبتهم وعودتهم؟، تخيرت نماذجي ممن لهم علاقة بالمقاومة وأدرت حوارات إنسانية حول الموضوع تكشف فيه علاقات كثيرة، وأفكار مختلفة بين اليمين واليسار، بين البسطاء من الناس والظرفاء، ولم يكن هذا تسجيلا يطابق الواقع، لأن هذه مهمة الصحفي وليست مهمة الكاتب الأدبي، استخدمت في الرواية شكلا جديدا، ولغة حوارية، ولوحات لنماذج إنسانية عديدة، وأجواء متشابكة، فترى المثقف

والبسيط، وإذا كنت تستفيد من مجرد حادثة لتبني هذا البناء الفني، فأنت ابن بيئتك تضفي عليها من أسلوبك وفنك ولغتك وتجربتك وأفكارك، أنت لست صحفيا لتنقل خبراً وتمضي، أنت تشيع حياة جديدة مصنوعة من لحم ودم حياة مبدعة على صفحاتك، فتعيش أجواء وقضايا وفضاءات لها خيط رفيع، ينظمها بالواقع وخيال، يسمو بها إلى آفاق الإبداع وهذا ما حدث.

*** بالتالي أليس هناك من خشية أن يتحول الروائي إلى مؤرخ، فالتأكيد على الزمن والتاريخ في أعمالك يطرح سؤالا حول العلاقة بين الروائي والمؤرخ والحد الفاصل بينهما..؟**

أنا لا أكتب رواية تاريخية، لكن الروائي يستفيد من حركة التاريخ وأحداثه الكبيرة، وكثيرا ما نقول أن المهتم بدراسة علاقات مجتمع ما، وتطوره، وما جرى فيه، يمكنه أن يقرأ أدب تلك الفترة في ذلك المجتمع، لأن الأدب يتناول دقائق الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع، لذا يمكن تكوين صورة وفكرة حول طبيعة الحياة في هذه الفترة، لكن هذا ليس تأريخا، فشتان بين المؤرخ المعني بصدق الوقائع، وبين الأديب الذي يستخدم خياله وإبداعه وأدوات فنية أخرى مختلفة تماما، لذا فالفرق بين المؤرخ والأديب فرق جلي وأساسي، كما أنَّ هناك أحيانا خيطاً رفيعاً لا يكاد يرى مغلفاً بالأدوات الإبداعية والجمالية للنصوص الأدبية، في حين يطلب من المؤرخ صدق الرواية التاريخية ولا مكان للخيال والإبداع في سرد حوادث التاريخ.

*** اعتمادك على أسلوب السرد اللاحق في بعض رواياتك يظهر وكأنك على علم كامل بتفاصيلها. والسؤال هل تكون الحكاية بكامل شخصياتها وتفاصيلها حاضرة في ذهنك أم أنها تتشكل أثناء الكتابة..؟**

الكتابة الإبداعية شيء ذو سمات بعيدة عن دقة التحديد، والكاتب حين يذهب إلى كتابة نصه لا يذهب فجأة، وفي ذات الوقت لا يكون النص متكاملا في ذهنه، إنه مزيج من وعي ولا وعي، لكن بالتأكيد الملامح والشخوص والأفكار والشكل والبيئة والأهداف تكون واضحة، وكلما أوغلت في نسيج الكتابة سترى فسحة من اللمسات التي تهبط عليك دون تخطيط لتغير شيئا ما، أو تضيف شيئا ما.. فقبل وأثناء الكتابة أنت جاهز لتختار أفضل ما يوصل فكرتك، وأنت بعد أن تنتهي ويصبح النص بين يدي القارئ إذا كنت كاتبا مبدعا حقيقيا ستقول ليتني أضفت كذا، أو حذفت كذا، وربما تقول لو قدر لي أن أعيد الكتابة ربما أعيدها بطريقة أخرى مختلفة تماما، لكن المضامين لا تتغير والأفكار لا تتغير، لأنها هي الأساس الذي دفعك للكتابة، وباقي الأشياء من لغة وشكل وأدوات يمكن أن يكون مختلفا.

*** كيف ترى العلاقة مع الآخر اليهودي من خلال ما ذهبت إليه في رواية (العربة والليل)، ومن خلال تناول اليهودي في الأدب الفلسطيني بشكل عام..؟**

الرواية كتبت أوائل الثمانينيات حيث بدأ حوار بين منظمة التحرير واليسار الإسرائيلي، الذي كانت له مواقف متقدمة من الاعتراف بالحقوق الفلسطينية في ذلك الوقت، وكان الاتحاد السوفييتي في أوج قوته وعلاقاته مع حركات التحرر، ومنها منظمة التحرير، في هذه الفترة كتب عدد من الكتاب الفلسطينيين في أدبهم حول العلاقة مع الآخر، منهم من رأى أن لا مجال لعلاقة مع من سلب الأرض وشرد الشعب، وطرحوا نماذجَ عديدة، إن معظم ما كتبناه صور ظلم الاحتلال وقسوة الجند ومنهم من رأى نتيجة لهذا الحوار القائم، إمكانية أن يستطيع اليسار الإسرائيلي خلق مناخ جديد، يؤدي للاعتراف بالحقوق الفلسطينية وإقامة دولة

فلسطين، وأثبتت الأيام أن اليسار لم يتمكن من تطوير أدواته داخل المجتمع الإسرائيلي، وظل زحف اليمين المتطرف يتسع على حساب اليسار، فالأمل الذي كان يحدونا بالتغيير لم يحدث، وعدنا للمعاناة الشديدة من الاحتلال، مع انطلاق الانتفاضة الأولى الكبرى عام ١٩٨٧م والتي استمرت حتى اتفاقيات أوسلو،كنا نرى العلاقات الطيبة بين العمال العرب واليهود، وكنا نرى قمع الاحتلال، وكنا نأمل بتشكل قاعدة عريضة تثني الاحتلال عن قمعه وتجبره وعلى القبول بالحقوق الفلسطينية، لكن ذلك لم يتحقق، خاصة بعد ما تم استخدامه من قوة الاحتلال القمعية أثناء الانتفاضة، حيث أدى لتراجع هذه الأفكار، ولاحقا لتراجع تيار اليسار الإسرائيلي. . أما الآن فقد غيب زحف اليمين الاستيطاني كل الأفكار الإنساني ة، وجعل الصورة أكثر قتامة وسوداوية، لكن يبقى الأمل في عطاء هذا الشعب المقاوم الصابر المصر على نيل حريته واستقلاله.

*** في هذا الإطار كيف تنظر إلى الروايات الصهيونية الجديدة التي تحاول إظهار الرغبة في التعايش مع العرب؟ وأين يمكن تصنيفها..؟**

وهل يمكنك أن تقف ضد من يقول أنه يؤيد حقوقك وحريتك، مع ذلك فهؤلاء الكتاب الذين يرفضون احتلال شعب، لا يستطيعون التأثير في السياسة العامة للاحتلال وقوى الاستيطان.

*** في رواية (قمر في بيت دراس) كانت جميع الشخصيات من الرجال، ولم نلحظ دوراً بارزاً لأي شخصية نسائية، بل كانت شخصيات ثانوية تختفي بمجرد انتهائها من الدور الذي رسم لها..؟**

رواية " قمر في بيت دراس " هي نموذج لما حدث في كثير من قرى فلسطين التي تم طردنا منها بالقوة عام النكبة، و " بيت دراس " قريتي وأنا لم أعش فيها، ولدت بعد النكبة بسنوات، لكن حكاياتها حاضرة لدي دوما، تناقلتها الأجيال وتداولت بعض أخبارها كتب وثائقية، حيث دارت على أرضها أربع معارك لما تتمتع به من موقع استراتيجي، وبعد أن سقطت بيت دراس سقطت مدن وقرى كثيرة حولها، هذه الرواية تتحدث عن بيت دراس منذ نهايات الحرب العالمية الأولى التي انهزم فيها الأتراك، وخرجوا من فلسطين إلى بداية النكبة عام ١٩٤٨م وهُجِّرَ الناس من مئات القرى والمدن رأيت في بيت دراس نموذجا لكل القرى المغتصبة، ولما دار فيها في فترة الانتداب البريطاني وحركة الاستيلاء على الأراضي، وطرد السكان من قراهم، في هذه الفترة التاريخية يرى كل باحث وكل متأمل في طبيعة العلاقات الاجتماعية في الشام وغير الشام، أن المرأة كانت منزوية عن العمل العام السياسي والاجتماعي، وكان تسلط الرجل واضحا، قرى لا تعليم ولا مدارس فيها لا للمرأة ولا للرجل، نظام اجتماعي صارم لا يتيح لها التفاعل إلا في حدود البيت والحقل، لذا لم أكن راغبا بإعطاء المرأة دورا لم يعطه إياها المجتمع، ولا التاريخ الذي كتبت فيه الرواية، مع ذلك ظهرت المرأة الأم والزوجة وظهرت المرأة الحبيبة لكن في سياق عابر، باستثناء صفية التي وقفت تساند الثوار حتى ضاعت أخبارها عند النكبة ولم يعد يُعرف لها مكان.

*** اتهم أحد النقاد رواية (الذين يبحثون عن الشمس) بالضعف الفني، وبأنها أقرب إلى القصة الطويلة طغت عليها اللغة السردية.. ما رأيك؟.. وكيف هي علاقتك بالنقاد بشكل عام..؟**

روايتي " الذين يبحثون عن الشمس " هي أول رواية أصدرتها عام ١٩٧٨م وأظن أنها من أوائل الروايات التي صدرت بعد حرب حزيران،

في أجواء الحصار والانقطاع عن الإصدارات العربية، بحكم الاحتلال والقوانين العسكرية التي منعت وصول الكتب، واعتقد أننا متفقون أن للناقد حرية ما يرى ويعتقد، ودوره أن يقدم قراءة أخرى للنص، وعلاقاتي مع النقاد يسودها الاحترام، ذلك لأنني أعتبر أني كاتب جاد وملتزم أحاول في كل مرة أن أقدم جديدا، سواء في الشكل أو المضمون أو كليهما والكتابة عندي عمل جاد ومضنٍ، فأنا مهتم بالكيف وليس بالكم

ومهتم بتطوير أدواتي الإبداعية، لذا فإن عشرات من المقالات والدراسات كتبت حول أعمالي من كتاب ونقاد وأساتذة نقد، ولولا أن النقاد وجدوا فيها ما يمكن أن يقال لما كان هذا الاهتمام، وقد جمعت عشرات المقالات لعدد كبير من النقاد في كتاب " مقاربات نقدية حول أدب عبد الله تايه في القصة والرواية، " الذي جمعه الكاتب المرحوم عثمان خالد وحققه الناقد أ.د.نبيل أبو علي، وكذلك تناولت أبحاث العديد من طلبة الماجستير والدكتوراه كثيرا من أعمالي في ا لقصة والرواية في أبحاثهم ودراساتهم.

*** روايتك (وجوه في الماء الساخن) تعيد من جديد السؤال حول البطل الايجابي والبطل السلبي المتعدد الوجوه داخل روايتك تلك..؟**

رواية "وجوه في الماء الساخن" تتناول علاقات العمل بين اليهود والعرب، وبين العرب ومستخدميهم من الأطفال العمال، رغم أن كل القوانين تمنع تشغيل واستغلال الأطفال في سوق العمل، لكنه الجشع الدائم الذي لا ينتهي، وفي ظل علاقات متشابكة ومتصارعة بين جميع النماذج المحكي عنها يبرز دور البطل الايجابي والبطل السلبي، لكن علينا أن نتفق أن عصر تصوير الأدب للبطل الفرد قد انتهى إذ باتت تعد البطولة لمجموع الأشخاص، فهي بطولة جماعية ولم يعد للسوبرمان من

وجود، الفعل الجماعي هو الذي يحرك مقاليد الأمور. أما في النماذج المتناولة فتظهر شخوص سلبية وأخرى إيجابية، وهذا ما أكدت عليه الرواية وأبرزت أن الظروف الموضوعية تنشئ تحولات في الشخوص من السلب إلى الايجابية والعكس، لكن بالأساس الرواية تعالج استغلال مقاولي العمل لعمالة الأطفال، بتشغيلهم في المزارع الإسرائيلية، خرقا للقوانين الإنساني ة المتعارف عليها لجني الإرباح وتخريب النفوس، لكن الانتفاضة التي جاءت في نهاية العمل كانت على أيدي كل فئات الشعب بما فيهم هؤلاء العمال حديثي السن.

*** بالتالي إلى أي مدى يستطيع الكاتب أن يكون حياديا في تسيير شخصيات روايتة..؟**

حتى إن كان الكاتب حياديا في أسلوب طرح شخصيات روايته، فإنه بعرضه لهذه الشخصيات وما تحمله من صراع وقضايا ومفاهيم وحركة ونمو وتطور، إنما يحقق من خلال كل هذه العلاقات ما يجعل القارئ يصطف مع أو ضد هذه الشخصيات، وهذا ما يجعلنا نتعاطف أو ننبذ هذه الشخصية أو تلك.

*** يغلب الطابع الأيديولوجي على مجمل أعمالك، الأمر الذي يدفعني للسؤال عن مفهومك للالتزام، وما الذي تريد أن تقدمه من خلال أعمالك بشكل عام؟ وما هو المطلوب من الرواية أساسا؟.. تشخيص الواقع وطرح الأسئلة أم إيجاد الحلول..؟**

الكاتب هو صاحب رسالة إنسانية، وهو دائم الحث على القيم الإنساني ة والعدالة الاجتماعية، لذا فالتزام الكاتب ضرورة حيث يصطف ويدعو إلى كل القيم النبيلة، ويعبر عن هموم وقضايا شعبه وأمته، إنه يظهر دائما الالتزام بطرح القضايا الإنساني ة التي يتشارك فيها البشر بغض

النظر عن بيئاتهم وأماكنهم، لأنه صاحب رسالة سامية ذات مضمون حضاري جمعي، والكاتب يحاول أن يقدم أفكاره الخلاقة ويؤشر على مواطن الخلل في النفس والسلوك، وفضح السلبية وتمجيد كل ما هو إيجابي ونافع، ونحن ككتاب في فلسطين لنا هموم أخرى تقع في مقدمة هموم الكتاب وهي معاناتنا من الاحتلال والاستيطان والحصار، ومحاولات وأد أحلامنا وطموحنا الوطني في الحرية والاستقلال، لذا على رواياتنا أن تنحاز إلى قضايانا، وتشخيص الواقع وكشف الزيف والتردي، وتعضيد العزم والإصرار على نيل الحقوق، ولم يكن إيجاد الحلول مطلبا من المطالب التي تقع على عاتق الروائي والمبدع، إنما هو يضع الصورة والإطار، ويفصل الواقع والعلاقات في بنيان أدبي إبداعي له مواصفات جمالية ونقدية وشكلية ولغوية، لتتضح المعالم وتفهم القضايا وحسبه ذلك.

*** يلاحظ التركيز في أعمالك على الربط بين السياسي والاجتماعي والثقافي، والذي تجلى في رواية (وجوه في الماء الساخن)،من خلال تناولك لقضية العمال الفلسطينيين في (إسرائيل)..؟**

العمل الروائي ليس مجرد قص أو نص يطول أو يقصر، لكنه يحوي في ثناياه مجموعة متشابكة من الوقائع التي تؤثر في الشخصيات والسرد من خلال مزج حركة المجتمع والشخوص سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً، فالرواية هي ذلك التشابك بين كل هذه العناصر، ليكون العمل الروائي معبرا عن عصره وفكرته ومضمونه، ويقترب من الواقع بشكل جمالي، ولا يغفل عن الصراع الدائر وأدواته فالرواية ليس مجرد السرد إنما هي كشف وربط وتحليل علاوة على الطرائق الجمالية والفنية، ونتيجة للظروف الاستثنائية التي يعيشها الفلسطيني تحت الاحتلال، فكان لابد من أن تكون رواية الفلسطيني بعضا من همه وطموحه وصراعه الذي

لا ينتهي من أجل حريته واستقلاله، إننا نعيش تجربة قاسية منذ النكبة، فلا يستطيع قاص أو روائي تجاهل هذا الواقع، إن عشرات الآلاف الذين كانوا يتوجهون يوميا لسوق العمل في المزارع والمباني والمصانع الإسرائيلية كانوا هم الـ" وجوه في الماء الساخن " خاصة ما قبل انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠م وغني عن البيان أن هؤلاء جميعا يمنعون من سنوات من دخول إسرائيل للعمل، إنه حصار اقتصادي وثقافي على مختلف الصعد والمجالات.

*** أين مكمن الاختلاف برأيك بين كتاب القصة والرواية في داخل الأراضي الفلسطينية (الضفة والقطاع وأراضي ال ٤٨) وبين كتاب الشتات..؟**

شاءت ظروف النكبة أن يتوزع الفلسطينيون في المنافي والشتات في أماكن وقارات عديدة، ولكن معظمهم لا يزال في الضفة والقطاع وأراضي الـ ٤٨، وكذلك فيما يسمى بدول الطوق التي تحيط فلسطين، ولكل مكان تجربة ومذاق خاص وهموم وقضايا، علاوة على الهم الأكبر وهو الطرد من القرى والمدن الأصلية في فلسطين، ولكل بيئة من بيئات الشتات التي تواجد فيها الفلسطيني ظروفها ومناخها وسياساتها واقتصادها، فمنها من يحدد حركته وعمله، ومنها من يطلق له حرية الحركة والعمل، والفلسطيني موزع بين المكان الذي يسكنه والمكان الساكن فيه، يتطلع إلى يوم عودته ويتصبر بالحكايات والذكريات والمقاومة، لذا نرى إجماعا في رؤية الكتاب الفلسطينيين على قضاياهم الأساسية، وحين يكتبون تكون الأهداف الأساسية نصب أعينهم، لا يحيدون عنها، ولكنهم ينطلقون من بيئات ومجتمعات مختلفة، فكتاب الضفة والقطاع عايشوا الاحتلال وممارساته سنوات طويلة أثرت في اختيار لغتهم وألفاظهم وموضوعاتهم، وربما دخلت بعض التعبيرات من

اللغة العبرية مثل مناهيل وباربديس وخيال (معلم العمل - بيارة - جندي). . تحدثوا عن الأرض والزنزانة والسجان الإسرائيلي والمستوطن ومنع التجول والرصاص والدبابة والمحكمة العسكرية، ودخلت أجواء المخيمات التي يعيشون فيها. . وكتاب ال ٤٨ تناولوا قضايا تم ممارستها عليهم من قبل القانون العسكري الإسرائيلي، مثل مصادرة أراضيهم ومنع تحركاتهم والإقامة الجبرية والسجن وغيرها من القضايا من خلال المدن الفلسطينية مثل عكا وحيفا والناصرة ويافا والقرى الفلسطينية المختلفة وما يمارس على الفلاح الفلسطيني والأكاديمي والتاجر والضرائب وغير ذلك.

لذا فكتاب الضفة والقطاع والـ٤٨ كتبوا من واقع احتكاك يوميّ بالاحتلال والسلطة الإسرائيلية، فجاءت كتاباتهم تعبيرا عن واقع يعيشونه، في حين أن كتاب الشتات عبروا بصدق عن ظروفهم وهجرتهم وأماكن تواجدهم فأكملوا الصورة، وعندما يكتبون عن الداخل تحت الاحتلال أو الـ٤٨ فإن الكتابة تكون متخيلة من السمع أو الرؤية أو الذاكرة أو المطالعة، خاصة لمن ولدوا خارج فلسطين وقد ظهر منهم كتاب أعمالهم جديرة بالعناية والاهتمام، أذكر منهم الروائي حسن حميد. إن الكتاب الفلسطينيين يكملون لوحة العمل الإبداعي سواء داخل أو خارج فلسطين وسيظلون كذلك حتى يعودوا جميعا إليها.